## الفصل 8
## علاقتي بالرئيس شهاب خلال عهد الرئيس حلو

### التواصل القريب مع الرئيس شهاب لمدة 6 سنوات

خلال كامل عهد الرئيس حلو، بالإضافة الى مهماتي في الشعبة الثانية، كنت مكلّفاً من قيادة الجيش، كما ذكرت سابقاً، بصورة رسمية وبإختيار من الرئيس شهاب، بمهمة الإهتمام بكل ما له علاقة بأمنه وحرسه، بالإضافة الى إحضار راتبه الشهري، ومتابعة المعاملات التي تعود له في الدوائر الرسميّة، خاصة تسديد الضرائب والفواتير المتوجبة للدولة التي يحرص على تسديدها في أول يوم من إستحقاقها، وإنتدابي لأمثله لدى بعض المراجع أو في بعض المناسبات،أو لزيارة أحد السياسيين لإيصال رسالة معيّنة لهم منه (أذكر بالتحديد زيارات عديدة لرشيد كرامي وكمال جنبلاط وبيار الجميّل وصبري حماده). كما كان يسلّمني لائحة بالمعايدات مع حلول الإعياد والبرقيات فأحضرها له، خاصة تلك الموجهة الى السلطات الدينيّة والروحيّة في البلد. وكان يطلب مني التدقيق في رسائل كثيرة تصله بصورة مستمرة من مواطنين يعرضون مشاكلهم المادية طالبين المساعدة المالية أو التوسّط لدى المؤسسات الخيريّة، وبعدها يكلّفني بالإهتمام بالمطلوب إذا تبيّن صدق المرسلين.

وكنت أرافقه وزوجته ليلاً في زياراتهما الى عيادة طبيب الأسنان الدكتور البير بوَيز[20] الكائنة في محلة باب دريس، وتلك كانت المناسبة الوحيدة التي يقصدان فيها مكان خارج المنزل. لكنه كان يطلب مني أيضاً مرافقته في المساء بجولات في السيارة الى مناطق وأحياء في كسروان وبيروت يراقب خلالها بإهتمام الحياة في الشوارع دون الترجّل من السيارة. كانت تلك الجولات تتحلّى بالسريّة الكاملة فلا يتعرّف اليه الناس، وكان يُعلم أحياناً بعدها بعض المسؤولين بأمور يراها تتطلب المعالجة أو التدخل، كأوضاع الطرقات مثلاً. أذكر يوم وقع دولاب السيارة في حفرة في الطريق في منطقة فاريا، فعلّق ساخراً: " هه... وقعنا بجورة الدولة..."

### لقاء الرئيس شهاب مرتَين في الأسبوع في منزله

كان التواصل بيننا عبر الهاتف شبه يومي وأحياناً أكثر من مرّة خلال اليوم، كما كنت أزوره بمعدل مرة أو مرتَين في الأسبوع. موعد اللقاء في منزله في جونيه (أو عجلتون صيفاً) العاشرة صباحاً، فأكون أول زائريه. يستقبلني في مكتبه الصغير (لجهة اليسار لدى دخول منزل جونيه)، وأحياناً يكون واقفاً في المدخل لدى وصولي. كان دائماً حليق الذقن، يرتدي معطفاً منزلياً في فصل الشتاء واضعاً شالاً حول عنقه للتدفئة. لم يكن منزله مجهزاً بالتدفئة المركزية، فقط "منقل فحم" على المدخل يكسر بعضاً من البرد داخل المنزل.

---

[20] شقيق النائب السابق نهاد بويز.

كان الرئيس يجلس خلف مكتبه وعليه أيقونة للسيدة العذراء مريم، ويعرض لي في بداية اللقاء الأوراق والمستندات المتعلّقة بالأمور التي بحاجة الى المتابعة، مع الملاحظات والتعليمات المدوّنة، فيما نتناول القهوة ويقدّم لي المُنَصّب[21] الضيافة. كان يعتذر عن مشاركتي بالضيافة مفسراً أنه يعاني من مضايقات في المعدة تجبره على الإنتظام في الأكل وتجنّب الكثير من المأكولات التي كان يشتهيها: "بعد ملقيتش ولا حكيم يظبتلي معدتي لأقدر إتروّق بيض مقلي بالزيت يللي كنت كتير حبّها أنا وشبّ!"

مكتب الرئيس شهاب الخاص في منزله حيث كان يستقبلني دورياً. ذكريات خاصة مؤثرة...

بعد الإنتهاء من أمور المعاملات والمراجعات، ينتقل الحديث الى المستجدات السياسية والأمنيّة في البلاد. كنت أعرض عليه آخر المستجدات لدي من عمل الشعبة الثانية، أو يفتح هو موضوعاً معيّناً يستفسر عنه طالباً مني الإيضاحات المتوفّرة أو يوصيني بالإستعلام والإستفسار عنه. غالباً ما كان يوصيني بالتنبّه لأمر معيّن يتعلّق بالإعلام أو مهمات الشعبة الثانية بشكل عام، أو يكلفني بإيصال رسائل تنبيه الى المقدم غابي لحود أو العقيد أحمد الحاج تتعلق بأمر ما يستشعر إمكانية حصوله وينصح بمحاولة إستباقه أو إستيعابه قبل حدوثه. وأحياناً يعلمني بأنه سوف يوصل رسالة لقائد الجيش العماد نجَيم المعيّن حديثاً على رأس المؤسسة العسكريّة، تتعلق بموضوع تطرّقنا اليه. وغالباً ما كان قائد الجيش يتصل بي لاحقاً

[21] Ordonnance - العنصر العسكري المكلّف بخدمة الرئيس في منزله.

لمتابعة الموضوع معي أو مع المقدّم لحود. كما كان الرئيس يشاركني أحياناً بآخر قراءاته ويطلب مني قراءة كتاب معيّن نال إعجابه لما يتضمّن من فائدة تثقيفيّة.

طوال اللقاء، كانت السيجارة لا تفارق يده، يتنشقها (يمجّها) كاملة. كان يدخّن السجائر من ماركة ال"يننجي" من إنتاج شركة "الريجي" للتبغ والتنباك اللبنانية. وفي فصل الشتاء البارد، كان يستبدل السيجارة أحياناً بالغليون pipe، لتدفئة اليدَين كما التقليد العسكري القديم لدى الضباط في أوروبا.

كان اللقاء يدوم حوالي الساعة، يرافقني الرئيس بعده الى باب المنزل مودعاً. وكانت عندها تأتي زوجته مدام روز للسلام والوداع والإطمئنان عن الصحة والعائلة. كما كانت تحضر أحياناً خلال اللقاء، تحادثني لدقيقة أو دقيقتين بعاطفة وإهتمام ثم تغادر.

زيارة معايدة للرئيس شهاب في منزله الصيفي في عجلتون. عاطفة الأب.

**إبن النمر، أبو زهرة، والكذّاب**

وكانت روح النكتة الكسروانية الساخرة واللاذعة تخيّم دوماً على الحديث في السياسة، فكان الرئيس شهاب يطلق القابه وتسمياته الخاصة على كل من الشخصيات اللبنانية التي يأتي على ذكرها. فكان الرئيس شمعون "إبن النمر"؛ وريمون إده "Le fiston" (أي إبن إميل إده)؛

وصائب سلام "أبو زهرة" (إشارة الى زهرة القرنفل في جيبه الأعلى)؛ والشيخ بيار "Pierre Le Grand" (بطرس الأكبر)؛ وكمال جنبلاط "الطويل" أو "إبن جنبلاط"؛ وكاظم الخليل "الثعلب"؛ والرئيس فرنجية "إبن فرنجيّة"؛ والياس سركيس "إبن سركيس"؛ ورينيه معوّض "رينيه"؛ والعماد بستاني "البروتوكول"؛ والعماد نجَيم "Le dur" (القاسي)؛. أمّا فرنسا فكانت "الأم الحنون" والرئيس حلو "الكذّاب"! وكان قد خصّني أنا أيضاً بلقبٍ: "حنا إبن أسعد". ولكني كنت إلاحظ أنه كان يمتنع عن إلقاء أي تسمية على رجال الدين، بسبب إحترامه الشديد لما يمثلون ولدورهم الروحي. كان يكنّ إحتراماً كبيراً أيضاً لكل من الرئيس بشارة الخوري ورياض الصلح رجال الإستقلال: "هودي رجال دولة!" وعن أن الله لم يرزقه بالبنين، كان يقول: "إنتو ولادي. إنتو الضباط ولاد المؤسسة العسكرية، أنتو ولادي."

**نعم، نستفيد من خبرة الرئيس شهاب!**

طبعاً، كنا في الشعبة الثانية نستفيد من تواصلي الدائم معه ومن خبرته الغالية، لنأخذ النصائح منه في أمور عدة، ونستفيد من إرشادات لتدارك بعض الأمور. ولطالما فسّر المقدّم لحود لمن طرح الاسئلة حول التواصل بين الشعبة والرئيس السابق بقوله الصريح: "أكيد! نحن كجهاز للدولة منِدفع الأموال للحصول على آراء وتحاليل من عدة خبراء، ونستعين بالمخبرين لجمع المعلومات، فكيف لا نستفيد مجاناً من خبرة شخصية تملك حكمة وخبرة تاريخية رائدة في الخدمة العامة؟"

**موقف شهاب من الرئيس حلو**

الموضوع الأبرز الذي أثرّ على الرئيس شهاب مع إنطلاقة عهد الرئيس حلو، والذي بدأ بالتحدث معي حوله بعد أسابيع قليلة من بداية العهد، كان إنزعاجه وأسفه لما بدأ يتضّح وتتوفر المعطيات والمعلومات عنه عن ميول لدى الرئيس حلو للتنصّل من أولويات ورشات الإصلاح التي كان قد أختاره الرئيس شهاب ليركّز جهوده عليها. وبعد حوالي الخمسة أشهر ذكر الرئيس شهاب أمامي بأنه قرر مقاطعة الرئيس حلو نهائياً. وقال لي: "ماذا بإمكاني أن أفعل؟ هو رئيس البلاد ويجب إحترام المركز، وعليكم أنتم كأجهزة أن تخدموا الرئيس، أياً كان، بنفس الطريقة التي خدمتموني عندما كنت أشغل المنصب. لكن أنا سأقاطعه كلياً منذ الآن. ليش يا إبني بدي أقبل طلبه بالتواصل معي؟ ليكذّب عليّ؟ حتى لو إستعملت أقصى أساليب اللباقة لعرض إنتقاداتي إحتراماً للمنصب، من السهل جداً عليه أن يجيب بالنكران وإدعاء الوفاء التام للخط... فيكذب عليّ ويكسب الوقت، وفي نفس الوقت اقدّم له الحجة ليشتكي للآخرين، الذين فتح جسوراً معهم ويسعى دوماً لإسترضائهم، بأنني أضغط عليه وأكبّل حريته... أنا أدرك مسبقاً أن هذا ما سوف يفعل. فجوابي المسبق هو المقاطعة الكاملة."

وبالفعل، رفض الرئيس شهاب أي مسعى من الرئيس حلو للإتصال أو التواصل معه طوال عهد هذا الأخير، كما رفض إستقباله حتى بعد إنتهاء ولايته. وبقيت أرملة الرئيس شهاب على ذات الموقف بعد وفاة الرئيس، الى أن قبلت بعد فترة ومع الإلحاح المتكرر للرئيس حلو وزوجته إستقبالهما وعلى مضض.

مع الرئيس حلو في لقطة معبّرة...

## الرئيس شهاب يفسّر دوافع رفضه للسلطة أعوام 1952، 1958 و1964

سنحت اللقاءات المتكررة، وعلى فترات طويلة، المجال الكافي للرئيس شهاب بأن يفسّر لي بوضوح مواقفه السابقة والتي ربما ما زال بعضها يكتنفه الغموض لدى المراقبين. فعن الإنتخابات الرئاسية عام 1952، وترؤسه لحكومة إنتقالية مهمتها تأمين إنتخاب رئيس جديد بعد إستقالة الرئيس بشارة الخوري القسريّة، شرح لي: "فاتحني يومها معظم رجال السياسة بموضوع ترشحي لمنصب الرئاسة الأولى. بعضهم ليعلن دعمه لهذا الترشيح ويشجعني على هذه الخطوة، والآخر "لجس النبض". ومن هؤلاء كميل شمعون الذي إرتاح كثيراً لعدم رغبتي في الترشّح ومدح يومها موقفي العسكري المشرّف وأعلمني بأنه بحال فوزه بالإنتخابات

يرغب بإبقائي على رأس المؤسسة العسكرية لإكمل بنائها وتوجيهها. قمت في حينه بتأمين إنعقاد جلسة الإنتخاب بأسرع وقت، وإنتخب الرئيس شمعون رئيساً بعد أيام قليلة. شخصياً كنت أفضّل حميد فرنجية، لكني لم أتعاطَ لا من قريب ولا من بعيد بالموضوع." أمّا عن سبب عدم ترشحه هذا، ففسر لي عدة مرات أنه في الأنظمة الديمقراطية، يجب الّا يتعاطى الرجل العسكري الشأن العام أو حتى يفكّر أو يحلم بأن يستلم السلطة السياسية يوماً ما. "وإلّا فسيجري عندنا ما كان يجري في سوريا ومصر والعراق من إنقلابات متكررة." كما كان شديد التأثر بما جرى في أوروبا على يد الإنظمة الفاشيّة، النقيضة للديموقراطية.

أمّا عن عام 1958 وإنتخابه للرئاسة الجمهورية، فشرح الرئيس شهاب مراراً أن المبعوث الأميركي روبيرت مورفي Robert Murphy إجتمع به سبع مرات، لكنه بقي على موقفه الرافض للأسباب التي تعود الى قناعاته الديموقراطية وحرصه على عدم حصول سابقة في البلاد بإستلام عسكري للسلطة[22] "وإلّا بيصير كل ملازم بيتخرّج من الحربيّة وبعلّق نجمة يحلم يعمل إنقلاب شي يوم..." كما أنني فهمت أنه وزوجته كانا يستعدان كلياً لحياة هادئة ومتواضعة في منزلهما فور تقاعده بعد إنتخاب رئيس جديد، ولا يرغبان بأي أضطراب يعكّر هذا الحلم البسيط والهنيء. "يللي خلّاني إقبل، لا مورفي ولا عبد الناصر... بل الفاتيكان الذي بعث رسالة بواسطة السفير البابوي في لبنان يتمنّى عليّ فيها بإلحاح قبول المهمة... فتناقشت مع زوجتي بالأمر وبعد أن إقتنعَت هي قبلي، قررت قبول المسؤولية لكن كمهمة عسكرية مرتبطة بتحقيق هدف محدد واحد: إعادة الأمن والإستقرار والحياة الديمقراطية الى البلد... وحدَّدت يومها المهلة لذلك بسنتَين، وقررت منذ تلك اللحظة أن أقدم إستقالتي فور إتمام المهمة أي إنجاح الإنتخابات النيابية المقررة في حزيران 1960 وهذا ما فعلت. لكني لم أعلن ذلك مسبقاً لكي لا يضر الأمر بإستقرار البلاد. الكتاب الخطي لإستقالتي كان جاهزاً منذ فترة طويلة ويحمل إمضائي، وكان ينقصه فقط تدوين التاريخ... لكن نواب الأمة رفضوا الأمر، وتجمهروا في منزلي وحرقوا كتاب الإستقالة، فرضخت لإكمال الولاية الرئاسيّة... وفي الفترة المتبقية، ركّزت على خطط الإصلاحات وبناء المؤسسات في الدولة." أمّا عن سبب عدم إشغاله القصر الرئاسي في القنطاري، فكان يقول: "كيف بدي فوت عالقصر؟ أنا عسكري... حفاظاً على مبادئ الديمقراطية يجب ألّا تطأ الجزمة العسكرية القصر الجمهوري... وإلّا ضاع كل شي." فالحل الذي إعتمده كان أن يبقي سكنه مع زوجته في منزلهما الخاص في جونيه ويستعمل مركزاً رئاسياً مؤقتاً قريباً من المنزل لمزاولة مهامه الرسمية وللإستقبالات نهاراً... فكان "قصر الذوق"، وهي فيللا متواضعة أعيد تأهيلها، يعمل فيه خلال النهار ثم يعود الى منزله حوالي الساعة الثالثة من فترة بعد الظهر، يتناول الغذاء مع زوجته ويمضي ما تبقى من النهار يعمل على درس الملفات في منزله...

[22] عبّر يومها مورفي عن إعجابه الشديد وإحترامه لقائد الجيش هذا "الذي يحرص ويدافع عن نظام بلاده الديموقراطي أكثر بكثير من سياسيي بلاده."

وعن رفضه تجديد ولايته الرئاسية عام 1964 بعد تعديل للدستور يسمح بذلك تبرّع عدد كبير من النواب بتأمينه، فدافعه الرافض، والمقدّس عنده، معروف وأصبح مشهوراً: إحترام الدستور ("شو بيقول الكتاب؟"). وما أضافه لي عن هذا الموضوع: "بعضهم كان ما زال يتهمني بأنني رفضت إنزال الجيش خلال أزمة 1958 بهدف ضمان إنتخابي رئيساً!! شو بدك ياني أعطيهم حجة ليثبتوا لحالن أنو أنا عم بسعى للسلطة؟ لا، لا..."

**عدم فضح من كان وراء إنقلاب القوميين**

أمّا عن موقفه وقراره بعدم فضح الأمر والتنكيل الإعلامي أو الإنتقام لدى علمه مَن مِن الدول المجاورة ومن السياسيين اللبنانيين من الصف الأول كان لهم دوراً في التحضير والتنسيق لمحاولة الإنقلاب التي قام بها الحزب القومي نهاية العام 1961، وحتى إسم الشخص الذي كان قد خطط لتنصيبه رئيساً للجمهورية لو نجح الإنقلاب، فكان يقول: "أنا لم أفضح الأمر أو أحاسب أو إحاكم من ثبت بوضوح من السياسيين والدول ضلوعه وتحريضه لعملية الإنقلاب، لأن ذلك كان سيضركثيراً بلبنان وكيانه ووحدته الجامعة. الله يسامحهم. بيكفي أنن بيعرفوا إني بعرف كل شي وإخترت الصمت..."

مع مرور الأسابيع والأشهر والسنين، فسّر لي الرئيس شهاب بمناسبات عدة وتكراراً سبب تصرفه في أحداث وظروف مختلفة والجوانب الكاملة لطريقة التعاطي المسؤولة والبناءة في الأمور اللبنانية، والإعتبارات الدقيقة والحكيمة التي يجب أخذها بعين الإعتبار دوماً، منتقداً السياسيين التقليديين لأن همّهم الأول هو إستغلال الفرص والتزلّف للأجنبي طمعاً في الحصول على بعض المكاسب الشخصية والفئويّة على حساب المصلحة اللبنانية العامة، واللعب على العصبيات الطائفيّة.

**الرئيس شهاب مدافعاً عن عمل الشعبة الثانية**

كان موقفه هادئاً وواضحاً وناضجاً حول الإنتقادات والحملات الدعائية ضد "المكتب الثاني، وتجاوزاته وإعتدائه على الحريات" الموجهة للرأي العام. وكان يوبّخ من يشكو له عمل الشعبة الثانية، خاصة إذا كان من المقربين وتأثّر بتلك الدعايات السلبيّة. كان يقول: "خلّي الشباب يعملو شغلهم... معقول يكون في بالبلد 70 جهاز مخابرات أجنبي بتِسرح وبتِمرح وبتَعمل على ذوقها وبيستزلم لها السياسيون، ونحنا ما عنّا جهاز وطني قوي على القليلي يراقب ويفهم شو عم يعملو هودي كلن؟ الشعبة الثانية ضرورية لصيانة كرامة وسيادة لبنان والحد من التدخلات الخارجية، خاصة أنو السياسيّين عنا بلا كرامة وبيسعو للإستزلام للخارج ليحمو مصالحهم وإستفاداتهم على حساب مصلحة لبنان العامة..."

وكان يشرح ببساطة ووضوح أهمية أجهزة المخابرات في الدول، ومهمتها مقاومة التجسس وكشف المؤامرات على الدولة، وسلامة الجيش من الداخل والخارج، وكيف أنه في بلد كلبنان

المطلوب مراقبة نشاطات السفارات الأجنبية التي تتدخل في السياسة الداخلية، كما الأحزاب والزعامات السياسية ووسائل الإعلام التي لها علاقات مباشرة مع الخارج والسفارات. وكان ينوّه بأهمية ما قدمته الشعبة الثانية في مجال تثبيت الأمن والإستقرار في البلد فاسحة المجال لورشات الإصلاح والإزدهار الإقتصادي.

مدير عام قوى الأمن الداخلي محمد البنّا يقلد أركان الشعبة الثانية وسام الجدارة.
من اليمين: سامي الشيخة، سامي الخطيب، جان ناصيف.

## علاقة الرئيس بالمؤسسات الدينيّة والإجتماعيّة والتربويّة

في بداية كل شهر، كنت أقوم بقبض راتب الرئيس التقاعدي وأحضره له. فكان فوراً يقتطع منه 10%، ويكلّفني بإيصاله سراً الى أحد الأديرة أو الكنائس التي يحددها لي، خاصة تلك التي تحمل اسم السيدة العذراء[23] التي كان يتعبّد لها بإيمان عميق، أو إحدى المؤسسات الإجتماعية المسيحيّة أو الإسلاميّة.

[23] إبتداءً من كنيسة سيدة الغسّالة في القبيات شمالاً، مروراً بسيدة زغرتا، سيدة حريصا، سيدة النجاة في بكفيا، سيدة التلّة في دير القمر، سيدة مغدوشة جنوباً وطبعاً سيدة الحبشية في مسقط رأسه غزير. زرت جميع هذه الكنائس لإيداع التبرعات مع توصية من الرئيس بعدم ذكر هوية المتبرّع.

وصلته في إحدى الأيام رسالة من الفاتيكان تطلب رأيه بموضوع تطويب إبن بلدته غزير، الأب يعقوب الكبوشي. عرض عليّ يومها الجواب الذي حضّره، والذي ركّز فيه على إستعراض سيرة الراهب ومآثره الخيّرة، لكن دون إبداء الرأي: التنسّك، الفقر، بناء الكنائس، بناء وإطلاق "مستشفى دير الصليب" في المتن لإيواء ومعالجة ذوي العاهات العقليّة ومركز مماثل في دير القمر، تشييد الصلبان على التلال. كما وصف محبّته وخدمته للإنسان الذي كان قد إختبرها هو نفسه وعرفها جيداً عن إبن بلدته "البونا يعقوب"، فقدّم له كل الدعم لإتمام مشاريعه الإنسانيّة بواسطة وزارة الشؤون الإجتماعيّة.

أذكر كم كان الرئيس شهاب متأثراً بكتابته لهذا الجواب وقد شاركني به لأهميته بالنسبة إليه ومحبته تجاهي. وقال لي: "أنا وصفت ما أعرفه عنه، لكنني لم أبدي الرأي. كيف فيي يا إبني إسمح لنفسني بأن إبدي رأيي عن رجل دين؟... لكني ختمت كتابي قائلاً: أعمال الرجل تتحدث بنفسها..."
كان الرئيس على علاقة وطيدة جداً مع الإخوة المريميين Frères Maristes الذين كانوا يديرون أديرة ومدارس في جبيل، وصيدا، ودير القمر، وبرمانا، وجونيه حيث تلقّى دراسته. كان الإخوة قد باشروا بتشييد مجمّع تعليمي كبير في منطقة ديك المحدي (المعروف اليوم بمدرسة الشانفيل Champville)، وقد ساعد هو في جمع التبرعات لهذا المشروع. إتصل بي صباح أحد الأيام، وطلب مني الحضور لأمر مهم. وجدتُ عنده الفرير ماريو Frère Mario، رئيس الإخوة المريميين، ومعه المسؤول المالي لدى الإخوة. كان الفرير ماريو قد إتصل به وأعلمه بأن المؤسسة تواجه صعوبات لسحب أموالها من بنك إنترا حيث كانت مودَعة، بسبب أخبار متناقلة غير مطمئنة عن مستقبل المصرف ومصير أموال المودعين. وفي هذه الحال، ليس بإمكان الأخوة إتمام بناء المُجمّع التعليمي الجديد! فطلب مني الرئيس شهاب مرافقتهم الى المصرف للإصرار على سحب المبالغ، على أن يبقى ذلك "سراً عسكرياً". وهكذا كان، فتمكنّا من تحقيق الأمر بعد مفاوضات غير سهلة مع إدارة المصرف، وإصرار من قبلي...

بعد يومَين، زرت الرئيس شهاب مجدداً كالعادة، وكنت متردداً في سؤاله عن موضوع خاص. بعد الإجتماع ولدى إستعدادي للمغادرة، نظر اليّ وقال: "شو باك؟ حاسك مش مرتاح... في شي بدك تقولو وملبّك... شو القصة؟" عندها إخبرته بأنه "لدي أنا إيضاً حساباً لدى المصرف ذاته، فيه 425 ليرة لبنانية، فتحته بعد ولادة إبني البكر فؤاد منذ حوالي السنة، وأضيف اليه 25 ليرة كل شهر. لكن بما أنكم طلبتم مني إبقاء الأمر بمثابة سر عسكري، فلا يجوز لي أن أسحب هذه الأموال دون سؤالكم..." تأثر الرئيس كثيراً من تصرفي، وكادت عيناه تدمعان وقال: "أكيد يا إبني. روح سحاب المصريات..." ثم حضنني وقبّلني بعطفٍ أبويٍ ورضى...

ولاحقاً تابع أولادي الثلاثة فؤاد وزياد وهادي كل سنين دراستهم في مدرسة الشانفيل.

بعد إتمام بناء المجمّع في ديك المحدي، إتخذ الإخوة المريميون قراراً ببيع مدرستهم السابقة القائمة بجنب منزل الرئيس في جونيه. علم الرئيس شهاب بأنها على وشك أن تُباع لمشروع تجاري، فتدخّل لدى الرهبنة اللبنانية المارونية وأصر عليها أن تشتري هي المدرسة لتبقى مؤسسة تربوية... وهكذا كان، فبقيت المدرسة مدرسة، أطلق عليها إسم "المدرسة المركزية" المعروفة اليوم.

بقي الأب يعقوب السقيّم رئيساً للمدرسة المركزيّة سنوات طويلة، أصبح خلالها من أقرب الناس الأوفياء للرئيس شهاب. وكان يردد حتى وفاته عام 2018 أن فضل وجود هذه المدرسة يعود الى الرئيس شهاب.

عام 2014، أصدر الأب السقيّم كتاباً جميلاً شيّقاً عنوانه "بين راهب وأمير – ذكرياتي مع الرئيس فؤاد شهاب"[24]، يعرض فيه تواصله شبه اليومي مع الرئيس شهاب من العام 1967 ولغاية وفاة الئيس شهاب في نيسان 1973.

[24] منشورات جامعة الروح القدس – الكسليك.

مع سماحة المفتي حسن خالد

**ترتيب زيارة خاصة للرئيس شهاب الى فرنسا**

في نيسان 1967، أعلمني الرئيس شهاب عن رغبته هو وزوجته بالسفر الى فرنسا لزيارة عائليّة (زوجته من الجنسية الفرنسيّة)، وطلب مني إجراء كافة تحضيرات السفر، لكن بسريّة تامة: جوزات السفر، تأشيرات الدخول الى فرنسا وإيطاليا، حجز التذاكر على باخرة السفر (وتم ذلك دون ذكر أسماء المسافرين)... وقمت بإرسال سيارة الرئيس الخاصة لملاقاته في أوروبا مع سائق ورتيب مرافق.

يوم السفر، وقبل مغادرة السفينة التي أوصلته اليها، طلب مني الرئيس بأن أقوم فوراً بزيارة كل من الرئيس رشيد كرامي وكمال جنبلاط والشيخ بيار الجميّل لإعلامهم بسفره. إستغرب جميعهم الأمر. أذكر تعليق والسؤال الملح لكمال بك: "كيف هيك؟ فخامة المير، نحنا شو عاملينلو؟ زعلان؟ أنا مقصّر، إلي فترة ما زرتو. كابتين، قول لّي عن جدّ: راجع أو رايح عطول؟؟" ورَدَّة فعل الشيخ بيار: "له له له! كنا رحنا نحنا ودّعناه عالمرفأ!! هو طلب يروح

هيك؟ ليش؟" أما الرئيس كرامي فعلّق: "الله يوفقو ويحرسو... أكيد بيستاهل يرتاح شوي من هالبلد هوي ومدامتو..."

دامت السفرة ثلاثة أشهر، من أواخر أيار لغاية أواخر آب 1967، وواظب الرئيس على الإتصال بي طوال تلك الفترة بإرساله بطاقات بريدية خاصة من فينسيا Venice (إيطاليا) وسيدة لورد Lourdes وفيشي Vichy، ورسالتين من ليون ومارسيليا، أحتفظ بها جميعاً.

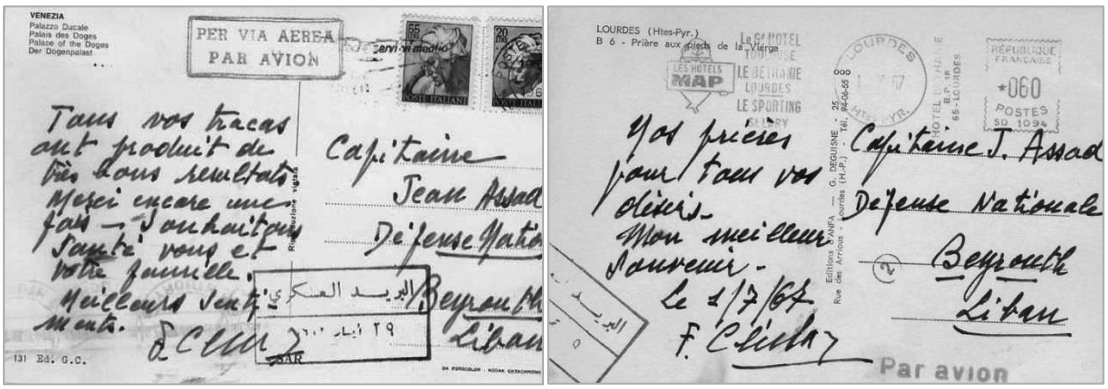


بطاقات بريدية من الرئيس شهاب مرسلة لي من فينيسيا الإيطالية وكنيسة سيدة لورد خلال زيارته الى أوروبا.

**عاطفة الرئيس شهاب وعقيلته تجاهي وتجاه عائلتي الصغيرة**

خصّني الرئيس شهاب بعلاقة أبويّة يسودها الرضى والثقة والتشجيع الدائم، حتى بات بعض كبار الضبّاط المقرّبين منه يطلقون عليّ تسمية "الإبن المدلل للرئيس". وتمتلئ نفسي بالعزة والفخر عندما يذكرّني اللواء أحمد الحاج بذلك من حين الى آخر، حتى يومنا هذا...

وبُعَيد حصولي على رتبة نقيب عام 1966، فاجأني الرئيس لدى حضوري للقائه صباحاً في إحدى المرات، بتقديمه إهداءً شخصياً، وهي صورة رسميّة له مع كلمات تقدير كالتي كان قد أهداها لكبار معاونيه لدى إنتهاء ولايته الرئاسيّة. كانت الصورة موضوعة داخل برواز فاخر من الجلد لون بني فاتح، وما زلت أحتفظ بها بأدق العناية. وفسّر لي يومها أنه قصد وضع ذات التاريخ الذي كان قد وضعه لصور الأهداء لمعاونيه، أي 15 آب 1964 قُبيل إنتهاء ولايته.

إهداء خاص من الرئيس شهاب

كنت متأثراً بإمتداد عاطفة الرئيس لتشمل أعضاء عائلتي الصغيرة. فيوم زرته والسيدة الأولى في زيارة معايدة خاصة مع زوجتي منى في عجلتون، كانا في إستقبالنا على مدخل المنزل وتوجّه بلياقة وعاطفة الى زوجتي، التي كان يراها للمرة الأولى، قائلاً: "أرجو أن لا أكون أسبّب لكِ إزعاجاً بسبب إتصالاتي المتكررة على رقم المنزل!" وبعد الزيارة والتعارف بات هو وزوجته يسألاني عن منى ويرسلان التحيات لها على الدوام.

وفي مناسبة أخرى في عجلتون، حضرت لزيارة قصيرة له وبرفقتي إبني البكر فؤاد الذي أسميته على أسم الرئيس. بقي فؤاد في الحديقة مع أحد جنود الحرس، فسمع الرئيس صوته. سألني عندها من يكون الطفل، فطلب إحضاره لرؤيته والتكلّم معه. كان فؤاد يبلغ من العمر حوالي الثلاث سنوات، فإستمتَع الرئيس بمحادثته لبعض الوقت، خاصة عندما رفض فؤاد الصغير فكرة أن يكون أسم محدثّه المتقدّم في السن أيضاً "فؤاد"!

مع مرور الوقت والإلفة، أصبحت زوجة الرئيس تَحضُر غالباً عندما آتي للقاء الرئيس، للسلام علّي والسؤال عن زوجتي والأولاد. كما كانت تحضِّر الهدايا للأولاد لدى ولادة كل منهم أعوام 1965 و1967 و1969، وعلب الشوكولا والحلوى لهم في المناسبات والأعياد...

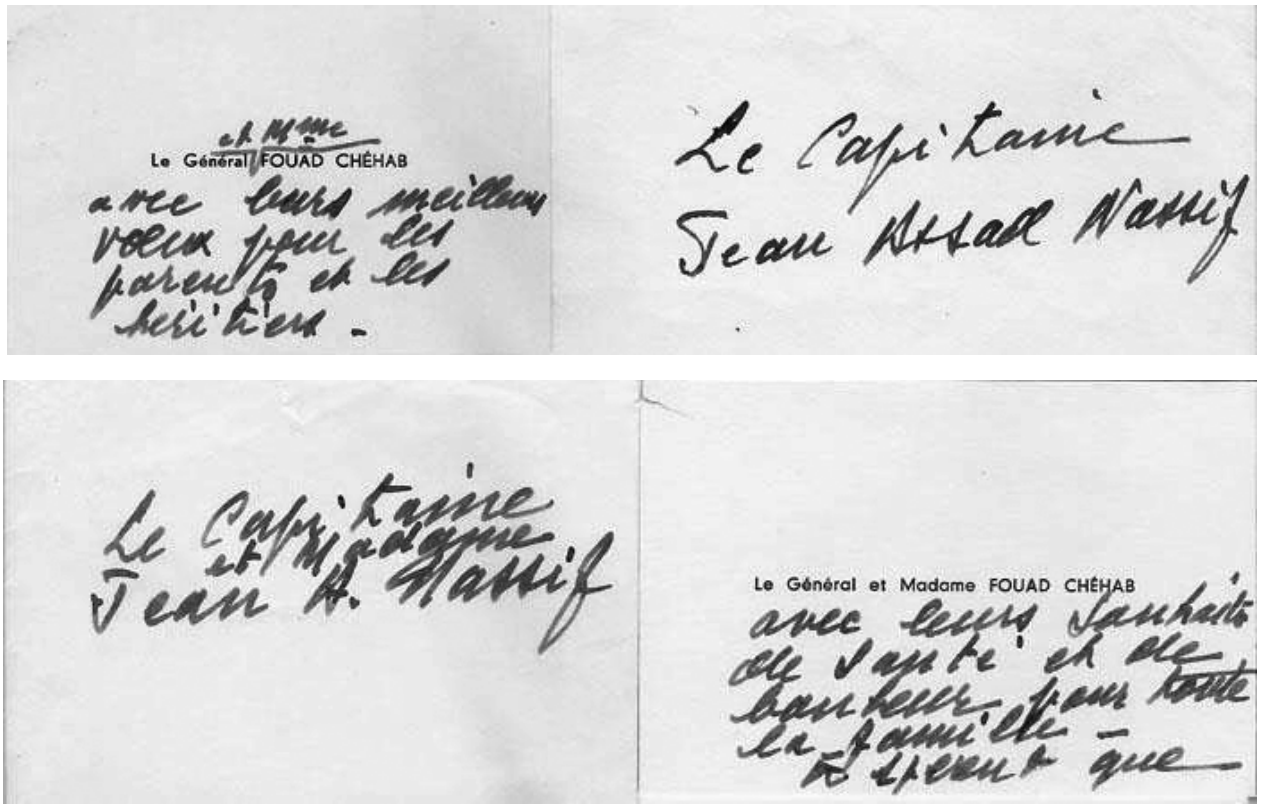


معايدات دائمة في المناسبات لي ولعائلتي. بخط يد الرئيس شهاب.

وعندما أصبت بإلتهاب رئوي حاد ألزمني المنزل، طلب الرئيس شهاب من طبيبه الخاص، البروفيسور أنطوان مرعِب، زيارتي ومتابعة علاجي بإهتمام.

وفي فترة إبعادي كملحق عسكري الى الهند، بعد خسارة الياس سركيس الإنتخابات الرئاسيّة عام 1970، إضطرّت زوجتي لإجراء عملية جراحيّة (الفتاق) لأبني الأصغر هادي الذي كان يبلغ من العمر سنة ونصف... عندما علم الرئيس بالأمر، إتصل بزوجتي قائلاً: "شو عملتي بالصبي يا بنتي؟ وليش ما حكيتيني قبل؟ لا، لازم تقوليلي..." فإطمأن عن هادي، كما إتصلت زوجته للإطمئنان مجدداً في الأيام اللاحقة. وقبل إتخاذ قرار إلتحاق عائلتي بي في الهند، كان الرئيس منزعجاً وقلقاً بشأن الوضع الصحي هناك أن لا يشكل خطراً على صحة الأولاد، وقد أرسل لي في ما بعد عدة رسائل الى الهند ما زلت أحتفظ بها، للإطمئنان والسؤال عن العائلة[25].

لدى عودتنا من الهند، إستقبلني مع منى مجدداً مبدياً سروره لعودتنا سالمين، مستفسراً عن ظروف حياتنا هناك، ومُعبراً هو وزوجته عن عاطفة أبويّة مؤثّرة...

**صفات الرئيس شهاب وميزاته الشخصية**

يُجمِع المراقبون السياسيون اليوم، ومن كل الأطياف، على إحترام وتقدير ما حاول الرئيس شهاب القيام به من بناء مؤسسات الدولة وإجراء الإصلاحات. حتى الذين حاربوا النهج الشهابي وخاصموه يتكلّمون عن فؤاد شهاب اليوم بإيجابية عالية ومديح وحسرة على الماضي. ولعل أبرز من عبّر عن ذلك، العميد ريمون إده الذي كرر أمام عدد من الصحافيين والأصدقاء خلال آخر سني حياته في باريس ندمه لمعاداة الرئيس شهاب بدل دعمه وتأيده، لأن ذلك "كان يمكن أن ينقذ لبنان"[26]...

سؤال هام يُطرح: لماذا سلك الرئيس شهاب هذا الطريق وما كانت أسباب ودوافع نهجه هذا؟ جوابي من تجربتي الخاصة مع الرجل الكبير، وقربي منه هو أن السبب في ميزات الشخص الخاصة: طبعه، مبادؤه، تكوينه الداخلي، طيبته، محبته لأبناء بلده، إيمانه الديني، روح المسؤولية العالية التي تمتّع بها، والأولوية المطلقة عنده تجاه مستقبل لبنان ومستقبل الأجيال القادمة...

لم يكن الرئيس شهاب بطبيعته رجل سياسة، لا بل كان يحتقِر هؤلاء فيسميهم "أكلة الجبنة" Fromagistes. وكان يردد أمامي: "أنا مش متلن، كيف بدي إتشارك معن؟ أنا تفكيري

[25] هذه الرسائل المكتوبة باللغة الفرنسية معروضة مع ترجمتها للعربية في مكان آخر من هذه المذكرات (صفحة ١٦٨ الى ١٧٣).

[26] النهار، 21 تشرين الثاني 2007 "في الليلة الظلماء"، ومقالات أخرى لصحافين وأشخاص إلتقوا العميد إده في تلك الفترة، منهم جوني عبدو.

فرنساوي واقعي، مش لبناني مصلحجي..."[27]. عندما تذكر أمامه عبارة "لبنان سويسرا الشرق"، كان يُعلّق بلكنة ساخرة: "نعم سويسرا... بس سويسرا بلا السويسريين!". كان قبل كل شيء إنساناً يتمتّع بقيم ومبادئ سامية، يعيشها ويُطبّقها بكل إخلاص: النبل، الأخلاق، الحس الإنساني، التواضع والتجرّد في حياته الخاصة، والصبر.

كان مسيحياً مؤمناً ملتزماً، متعبداً لمريم العذراء، طبَّق مبادءه الدينية في حياته الشخصيّة وفي كل تصرفاته. إبتعد بمثالية عالية عن إغراءات العالم المادية، وأتمّ واجباته ومسؤولياته مترفعاً دائماً عن المصالح الشخصيّة. عاش حياة قناعة وإتزان وبساطة لا بل تقشّف، وقد أكسبه ذلك لقب "الناسك". كانت زوجته أفضل صديق له وكاتمة أسراره، تُشاطره نفس المعتقدات والقيَم الفلسفية. كانا يتشاركان عدم الرغبة بالحياة الإجتماعية. لم يكن يرغب في الإستمتاع بالامتيازات والنفوذ التي تؤمّنها السلطة. فلم يقُم بأية زيارة خارجية رسمية أو خاصة خلال كامل فترة ولايته. كان ينظر الى المركز الرئاسي كرسالة، ويعتبره واجباً وخدمةً يقدمهما لشعبه. كان يقول لي: "أنا قبلت الرئاسة سنة 1958، كمهمة عسكرية، أي أنفذها ثم أعود الى الثكنة... وبس."

لم يكن يحب الظهور الإعلامي أو إستعمال أي نوع من الدعاية، منتقداً الأنظمة العربيّة الأحاديّة العسكريّة والمَلكيّة، والفاشيّة في أوروبا، التي هي كلها نقيض النظام الديموقراطي في لبنان الذي آمن به وكرّس نفسه لخدمته وتمتينه. وكان أسلوبه، أسلوب العمل الصامت.

كمحاور، كان مستمعاً إستثنائياً، ولطيفاً جداً، مشبعاً بالآداب واللياقة. يتكلّم بهدوء وبوضوح. كانت كلماته وأفكاره متزنة، غير سلطوية أو عدوانية، تهدف الى الإقناع. كل هذه الصفات أوجبت الثقة والاحترام لدى محدّثيه.

قبل إتخاذ أي قرار، كان الرئيس شهاب يعطي متسعاً من الوقت لدراسة المواضيع بكل تفاصيلها، مستعيناً بآراء الخبراء، خاصة في الشؤون التي لم تكن مألوفة لديه. كان واقعياً في تقييمه للأمور وفي خياراته التي غالباً تستند إلى حسٍ إنسانيٍ سليم. كان بعيد النظر في تخطيطه ولديه فهم وإدراك عميق للطبيعة البشرية وضعفها؛ فلم ينسج أية أوهام حول الشعب اللبناني وقدرته على الانتقال من عقلية المصلحة الفرديّة والطائفية إلى الإقتناع بوجوب إعطاء الأولوية للمصلحة العامة.

[27] هذا ما جعله يلجأ الى خبير إقتصادي أجنبي، الأب الفرنسي جوزيف لوبري Père Lebret، وتكليفه عام 1959 بإجراء المسح الشامل للقدرات الطبيعية والبشرية والاقتصادية والاجتماعية على كامل الاراضي اللبنانية مع إقتراح مشاريع وحلول للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية القائمة. فكانت بعثة إيرفد Irfed الشهيرة، مصدراً أساسياً لجوهر المراسيم التشريعيّة التي نظمت الدولة المدنية الحديثة.